## هوامش على تجارب لترجمة روايات عالمية للأطفال

# بين المتعة والمشقة

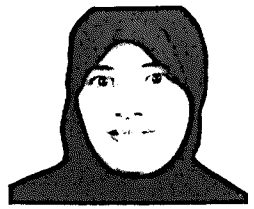

د. فاطمة حمد المزروعي

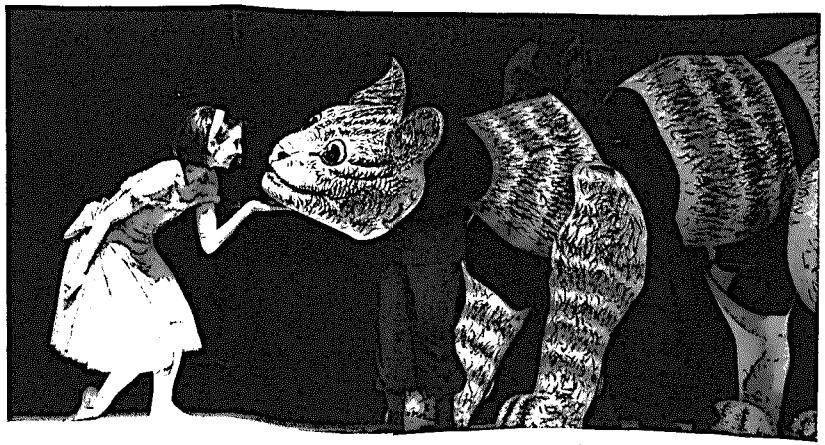

من مغامرات أليس في بلاد العجائب

الكتابة للطفل هي عالم سحري، يدخل فيه الكاتب إلى غابة مدهشة، ليقدم للطفل متعة وفائدة. فكيف يمكن ترجمة أدب الطفل والناشئة إلى لغة أخرى؟ وإذا كانت للترجمة صعوبات وتحديات فإنها تصبح صعوبات مضاعفة عندما تتعلق بهذا الأدب؟! لأن هناك أموراً لابد من مراعاتها لتتلائم وثقافة الناشئة.

وممن اهتم بترجمة أدب الطفل والناشئة مشروع كلمة، الذي يعدّ أحد مشاريع الترجمة المهمة على مستوى العالم العربي؛ نظراً للكم الكبير من الكتب التي ترجمها، والأهم من ذلك هو جودة هذه الترجمة ودقتها، مما يدل على وجود معايير دقيقة بدءاً من اختيار الكتب وترجمتها وتدقيقها، وانتهاء بصدورها بطباعة مميزة؛ ولهذا كله أجد نفسي أتوقف عند ترجمتها لكتب الأطفال والناشئة. لقد قرأت كثيراً منها؛ لاهتمامي بأدب الأطفال بشكل عام، والناشئة بشكل خاص.

ربما تساعدنا الأرقام هنا، فعدد الكتب المترجمة إلى العربية في فرع الأطفال والناشئة بلغ أكثر من مئتين وسبعين كتاباً، تُرجمت عن اللغات الإنجليزية والهولندية والبولندية والسويدية والألمانية والفرنسية والإسبانية، معظمها جاء ترجمة عن اللغات الأصلية، إلا في حالات قليلة جداً كانت فيها الترجمة، عن لغة وسيطة هي اللغة الإنجليزية.

وفي عملية الترجمة ذاتها قد يحقق المترجم إنجازات ونجاحات، لكنه في الوقت نفسه قد يعاني من صعوبات، خاصة لمن يترجم في فرع الأطفال والناشئة، نظراً لرغبته في التقيد بالنص المترجم من جهة، وضرورة مراعاة الاختلافات الثقافية بين اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها. قد تحمل هذه الاختلافات بعداً ثقافياً، يرتبط بمستوى معرفة الطفل وثقافته، مثل ارتباط القصص بأساطير وحكايات شهيرة، لا يعرفها الطفل العربي، مما يضيف عبئاً آخر على المترجم. وهنا أتذكر أحد المترجمين الروس حين سُئل عن سبب عدم ترجمته لـ«أليس في بلاد العجائب»، ردّ قائلاً بأنه «سيكون من الأسهل أن أنقل إنجلترا» بأكملها، بدلاً من ترجمته لهذه الرواية. قد يكون في كلامه شيء من المبالغة، لكني عندما قرأت إحدى الترجمات العربية الجديدة لهذه الرواية، وجدت أن هناك كثيراً من الهوامش لشرح الأساطير في نهاية الكتاب، وتمنيت لو جاءت الهوامش في نهاية الصفحة حتى لا تقطع استرسال الطفل في القراءة بالعودة إلى نهاية الكتاب.

إن المترجم وهو ينقل من لغة أخرى إلى اللغة العربية، هو واقع بين ثقافتين مختلفتين، في ترجمته لا يترجم حرفياً، وإنما يبدع في هذا الهامش بين الثقافتين، وقد يغير شيئاً أو يحذفه، أو يقلصه. يمكن أن نسمي ما يعمله تغييراً أو تكييفاً أو ابتداعاً؛ لأن الهدف من الترجمة هو أن يفهم الطفل ويستوعب القصة، بطريقة تناسب خبرته الحياتية وتغني أحاسيسه من أجل إيصال رسالة الكاتب، وما يقوم به المترجم من تغيير لابد أن يكون محدوداً، وفي الضرورة القصوى. وهناك تجربة يمكن التوقف عندها؛ لنرى حدود التغيير، وكيف يتم، وهي تجربة ترجمة كتب الأديب الألماني باول مار، فقد أخبره المترجم بما قد يجريه من تعديل طفيف؛ كي يناسب الطفل العربي وذائقته، فردّ على المترجم قائلاً:

«لك أن تتصرف في الترجمة كما تشاء. وأهم شيء عندي أن يفهم الطفل العربي الحبكة ويستمتع بالرواية». من مقدمة رواية السيد نبحان والأعجوبة الزرقاء. وقد أحسن مترجم، هذه الرواية، محمود حسنين صنعاً، حين ترجم الأسماء الألمانية بما يقابلها، وبما يناسب التلاعب اللغوي الذي يحرص عليه باول مار. ومن أمثلة ذلك أسماء الأشخاص: السيد جيد ممتاز، والسيد عسير غريب، والسيدة غصن البان، فهي أسماء تحمل السمات المميزة لهؤلاء الأشخاص في الرواية.

وذهب المترجم إلى أبعد من ذلك في رواية الناشئة «أسبوع شيار المغوار». لقد وجد المترجم ضالته في الأسماء العربية القديمة لأيام الأسبوع، وشيار هو يوم السبت في اللغة العربية، واسم بطل الرواية. وربما يبدو غريباً وصعباً هذا الاختيار، لكنه يتسق مع أسلوب باول مار، وإن كان الطفل العربي يجهل الأسماء القديمة، فإن النص يشرح هذه الأسماء بطريقة ظريفة، ويكرره في أماكنها، وأمر آخر هو الاستفادة من الأهازيج الشعبية، مثلما يغني شيار لأستاذ فصيح:

«نام يا بابا نام
بلبلة أكلت الحَمام
نام يا بابا نام
بلبلة راحت الشام»

وهذا يذكرنا بالأهزوجة المصرية:

نام يا حبيبي نام
واذبح لك جوزين حمام.

إن الترجمة أحياناً تكون شاقة ومتعبة، لكنها ممتعة، يشعر بها المترجم حين يكتمل عمله، ويحس بها القارئ حين ينتهي من قراءته للكتاب، وقد أغنى تجربته في الحياة، وأسعده، فقد يجد في النص شيئاً قد تساءل عنه يوماً.

لذلك، قد يغدو لون الحياة مختلفاً بعدما ننتهي من قراءة الكتاب.